اناتول فرنس والمرأة

ادرك الكاتب العبقري اناتول فرانس كبير كتاب فرنسا غير مدافع الثمانين من عمره فاحتفلوا حوله بنادرة الكتاب الذين تضن بهم القرون ولا تجود بأضرابهم الا على توانٍ فيخلق الفرد منهم بما وهب من ذكاء نادر امة تتقدسها الاجيال المتعاقبة وتخلدها الاحقاب والادهار

ومن من الناس من لم يردد اسم اناتول فرنس في انحاء العالم المستنير ومن منهم ذلك الذي لم يطرب بتلاوة آيات عبقريته البينات ومن لم تتح له السعادة فيرى هذا الشيخ الوقور في فرامة ولو سفر واحد من شبق آثاره المتعة لتجلى له العبقرية البارزة في وجه وآراء هذا الكاتب الفحل الذي تفتخر به فرنسا ام المدنية والعلم فتجده اليوم وقد عدا على العقد الثامن من عمره ؟

هذا الكاتب الكبير ميزة رفعته مكاناً علياً فوق من عداه من الكتاب اذ لا تقع العين على كلمة من كلمه في صحيفة صالحة الا وتستشف بين ثنايا كلماتها وتضاعيف سطورها تلك الابتسامة التي تتحير بينه وبين هذه السطور ، بل تتجلى وهج الكاتب وعبقريته بارزة كأن العين واقعة عليه وهو يحدثها في خلوة من بيته

اناتول فرنس كثير الولوع بالتحدث الى النساء حيث يثير حديثين هذه العبقرية السمحة السخية وكان يعلق عليهن اهمية كبرى اذ يعلم انهن وحدهن اللاتي يهدين الكاتب العبقري الى سيادة النجاح والتفوق

وهذا الكاتب الفذ آراء قيمة في النساء فتنهن يقول :

« ليس التأنق في الخدام يستحسن الا النساء اللواتي تسلن على شيء من الجمال ولا تحتج النساء الى الازياء في الملبس الا ليستعن به على بروز اشكالهن ويركبن انفسهن في تثبيت التأنق على الرغم من مضايقتهن بالزي في بعض المواضع التي تتطلبها الخلقية حتى يبدو التأنق في اجزاء الجسم . فالثوب اذاً ما فيه من تأنق غير مجد الا لتجميل النساء النحيفات اذ يقوي التناسب بين الاعضاء

هذا ترى الفيلسوفيات مستوفيات شروط الحسن وتمام الجمال والملاحة وهن متجردات اذ يبدين في جلال روعتهن اكثر مما لو كن متسربلات ثياباً بينا ترى

اساتذة العصريات على الاكثر ومن تحفيات يوجه عام يظهرن في تباين أبهى جمالا من الايطاليات

اناتول فرانس

على ان هذه مسألة نزاع نظرية لان للنساء اسلحة أخرى عدا مايظهرن من جمال

وقد وقع للمؤرخ الكبير السير بيرشامبيون ان ذكر يوماً امام اناتول فرانس ان الناظر الى صور نساء القرن الخامس عشر يظنهن جميعهن متشابهات . فاجاب فرانس : ان تلك النساء في ذلك العهد ما كن يحتفلن بالحالة الشخصية

وحدث مرة ان نظر فرانس الى صورة عذراء ايطالية تصلي بين اشجار الورد فقال : « أليس هذا وجه مراهق جميل . وعلى كل حال كان الفنانون الايطاليون يتخذون من صور الصغار نماذج للعذراء وقد شاهدت من بينة روفائيل شاباً فلورنتينياً صغيراً في شكل عذراء

ليس للنساء وجه خاص بهن فاذا ما البست ولداً صغيراً بزة نسوية فانت امام امرأة واذا ما البست امرأة شابة ثوب فتى الفيت نفسك حيال فتى وليس ثم من وجه خاص الا للرجال . ويظهر ان الطبيعة بعد ان كونت جسم المرأة ونونها قالت

هذا « اني لن أزيد عليك شيئاً ويكفي ما أنت عليه من رونق حتى يبحثوا عنك وعليك ان تعرفي كيف تبقين على الاعجاب بك »

وللنساء بطبيعتهن خاصية التسلط على رفقائهن ومن يلوذون بهن ومن النادر ان تجيء هذه الميزة بعكس ما نشأن عليه لان هذه الفطرة تسوقهن الى الطريق التي سنه لهن الطبيعة

ولا نغفل انهن ارق حاشية من الرجال وآية ذلك ان ما فطرت عليه القبائل المتوحشة قضى على المرأة بان لا تمضي الى الصيد والقنص وكذلك نرى النساء في هيئاتنا الاجتماعية العصرية لا يبدين شيئاً من الآراء الطريفة الجريئة ولا يقدمن على شيء من الاكتشافات

ان النساء اكثر الهاماً بمواضع الحياة من الرجال ويندر ان تمزع بهن فطرتهن الى ما لا يرتضى لانهن في الغالب يوجهنها الى ما تقتضيه هذه الطبيعة . على ان ذكاءهن دون ذكاء الجنس النشيط فلا يجتحن الى الشاق من الاعمال تاركات هذه الاعباء على عاتق الرجل مع بقائهن متوليات امور البيت وتقاليده فهن مبتليات عليه لا يتدخلن في ما عداه

والنساء متمتعات بجميع الصفات اللازمة للحياة العملية وهي متأصلة فيهن اكثر من الرجال فلا يسع الانسان الا ان يحيي انتصار الحركة النسوية التي ترمي بحق الى جعل المرأة والرجل في مستوى واحد ازاء القانون المدني

وقد يمكن ان تعود قوة المرأة المتصرة التي تتمتع بها عليها بالخذلان واني ذاكر في هذا الصدد قصة شرقية لذيذة

رأى شاب تركي جبل الطلعة في ما يرى النائم حورية تقدم له خاتماً وكان هذا الشاب يرقد في خلوة . وقد قالت له هذه الحورية : « ان لبس هذا الخاتم ان هذا الا طلسم وهو كفيل لكل من يملكه بحب النساء »

فاستيقظ النائم فالفى الخاتم في أصبعه وقفز من فراشه فرحاً وبادر الى ارتداء ثيابه وخف الى ما يصادفه من فتح مبين لقلوب النساء كما وعد به

ولم يكد يصل الى الطريق حتى استشعر بمن يشد ذيل معطفه فالتفت جزعاً فاذا هو دون عجوز شمطاء معضنة الوجه كاحلة اللون لا تكشف شفتاها عن بقية باقية من الاسنان

وما كان اعظم دهشته عند ما سمعها تناديه وهي تبسم بفظاعة ! « يا غزالي » فصرخ في وجهها وقال :

« دعني ايتها اللعينة »

وهي في هذه اللحظة جذبته الى حافة هاوية قريبة منها والقت بنفسها واياه اليها

ولا يعلم ولا يدري انسان ماذا كان في نفسها حتى تستأثر به ما دام حياً في حين انها لم تقبض الى السماء الا بعد اربعين عاماً من هذه الكارثة

وهنا يقول اناتول فرنس مستخلصاً من حياة المرأة والجمال والثوب وما تهبه الطبيعة هذا المخلوق البديع من رونق وجمال قد يكسوه ثوباً لا يستشفه الا من نفذ الى شغاف قلبه بريق يطوي حاجب هذا الشغاف فيجف القلب اذ يدب الموت فيه ؛ هنا يقول اناتول فرانس في خدعة الحب : « هذا هو الخطر في ان تتعمل ان تكون محبوباً »

وجاء في الصحف الافرنجية أن المسيو اناتول فرانس قد اتخذ له شريكة ثانية لحياته بعد أن مضت مدة ليست بالقصيرة على طلاقه إمرأته الاولى

أراد هذا الشيخ الجليل — بعد مرض لازمه طويلا — ان يودع وصيته جزءاً من ماله لخادمته جزاء لها على ما بذلته نحوه اثناء مرضه من عناية وتضحية وخدمة صادقة . فاستدعى اليه مسجل العقود وأنبأه بغيته . ولكنه علم منه ان القانون يقضي عليه بأن يدفع للحكومة من الرسوم ما قد يستنفد ثلاثة أرباع وصيته . فدهش الكاتب لهذا النبأ

الا إن المسجل تدارك صاحبه عن غير قصد ولا تعمد اذ ارتأى رأياً وجد فيه اناتول من مأزقه متفرجاً . قال المسجل : « ان هناك وسيلة لتخفيض تلك الرسوم هي كتابة عقد زواج » ! . . . فلم يلبث كاتبنا الكبير الا قليلا وأجاب « لاضير ، سأتزوج ! . . . »

وسرعان ما أعلن اناتول عزمه على الزواج . وما انقضت المدة القانونية حتى سار في صحبته اثنان من معارفه . هما المسيو ليون كان والمسيو كلمان ليقيا يريدون دار الحكومة في سكون وسكوت . وكان مرتدياً ملابسه العادية . يسيئه عصاه وعلى رأسه قبعة خفيفة . وهكذا عقد له بعد قليل على من واسته في مرضه ووالته في كربه وشيخوخته

امبراطور النمسا والشبح

ماجة تاريخية

ان الواقف على التاريخ يعلم ان اغسطس الثاني أمير سكسونيا الملقب بالقوي (سنة ١٦٧٠ — ١٧٣٣) تبوأ عرش بولونيا بعد وفاة ملكها سوبيسكي عام ١٦٩٧ . وقد بذل قبل ذلك مساع عديدة للوصول الى ذلك العرش الامر الذي شغل في ذلك العهد وزارات اوربا وأقض مضاجعها وحاول جميع ارباب السلطات تحويله عن هذه الفكرة فذهبت مساعيهم عبثاً وانفرد امبراطور النمسا جوزيف من بينهم بمعضيده ومؤازرته على بلوغ أمنيته

وقد لجأ رجال السياسة اذ ذاك الى الحيلة للتخلص من أغسطس وصرفه عن أفكاره واليك هذا البيان التاريخي المأخوذ من مذكرات امبراطور النمسا

بينما كان اغسطس مستغرقاً في نومه بعد ليلة قضاها كعادته في السهر والقصف ايقظه خادمه عند الساعة الرابعة صباحاً وقال له : ان الامبراطور يدعوك في هذه الساعة اليه على عجل فدهش الامير واضطرب لانه فارق الامبراطور مساء البارحة صحيحاً معافى . ولكنه لما مثل بين يديه ألفاه مضطجعاً في سريره وقد حمي وعيت خناصر القوى شاحب اللون

فصرخ اغسطس قائلا : ماذا حدث لجلالتكم وماذا دهاك ؟

فاجاب الامبراطور بصوت مشنج : حدث لي حادث مريع وارجح اني